

بسم الله الرحمن الرحيم
برنامج (حياة الشباب في صدر الإسلام)
الحلقة الخامسة عشرة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (حياة الشباب في صدر الإسلام) ، وما زال الحديث موصولاً عن حسن الخلق وجمال الأدب ، الذي بلغ شباب الإسلام فيه أعلى الدرجات ، وأعطوا في ذلك أبلغ الدروس والعظات .

فكما عرف شباب صدر الإسلام حق الوالدين ، وقاموا ببرهما فهم يعرفون أيضاً حقوق أهل العلم، فيحترمونها ويقدرونهم. نجد في حياة ابن عباس -رضي الله عنهما- نماذج رائعة من أدب شباب صدر الإسلام مع أهل العلم، فمن تقديره لأهل العلم، وتواضعه لهم -مع مكانته في العلم وأنه ابن عم رسول الله ﷺ- أخذ يزيد بن ثابت بالركاب، فقال: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا ^(١).

ويضرب ابن عباس -رضي الله عنهما- مثلاً آخر في تقديره للعلم واحترام أهله حيث يقول: إن كان ليلغني الحديث عن الرجل، فأتيه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الريح عليّ التراب، فيخرج، فيرايني، فيقول: يا ابن عم رسول الله، ألا أرسلت إلى فأتيك؟ فأقول: أنا أحق أن أتيك، فأسألك ^(٢).

(١) أخرجه ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/٣٦٠. والحاكم، المستدرک، ٣/٤٢٣ وصححه وأقره الذهبي، وذكره

الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/٣٤٥، وقال: [رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير رزين الرماني وهو ثقة].

(٢) أخرجه ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/٣٦٧، ٣/٣٦٨، والحاكم المستدرک، ٣/٥٣٨ وقال: [هذا حديث صحيح

على شرط البخاري ولم يخرجاه] ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/٢٧٧ وقال: [رواه الطبراني

ورجاله رجال الصحيح] والذهبي سير أعلام النبلاء، ٣/٣٤٣.

ولعبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- مواقف في هذا المجال، حيث أثر السكوت حياءً من أبي بكر وعمر وغيرهما ممن يفوقونه سناً وعلماً، لما سأل الرسول ﷺ عن النخلة، كما في حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أخبروني بشجرة تشبه -أو كالرجل- المسلم لا يتحات ورقها ولا.. ولا.. ولا.. تؤتي أكلها كل حين» قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم. فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: «هي النخلة». فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد وقع في نفسي أنها النخلة. فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً. قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا^(٣).

أيها المستمعون الكرام، شباب الإسلام، وليس أدب ذلك الجيل محصوراً مع الوالدين وأهل العلم فحسب، بل حتى مع عامة الناس، فقد اتصف شباب صدر الإسلام بصفات جميلة نتيجة للتوجيهات الحميدة والدعوة الرشيدة من رسول الله ﷺ، فيما تميزت به علاقتهم مع الناس من الكرم الإيثار، والتواضع، وطلاقه الوجه، وبذل السلام.

يصف أبوهريرة -رضي الله عنه- كرم جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- وعطفه على المساكين فيقول: "كان أخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إنه ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء، فيشقها فنعلق ما فيها"^(٤).

وعن نافع قال: إن كان ابن عمر ليفرق في المجلس ثلاثين ألفاً، ثم يأتي عليه شهر ما يأكل مزعة لحم^(٥).

وعن نافع أيضاً قال: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان، أو زاد^(٦).

(٣) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، تفسير سورة إبراهيم، ٢٤٦/٣، حديث ٤٦٩٨.

(٤) أخرجه البخاري مطولاً، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه-، ٢٣/٣، ٢٤، حديث ٣٧٠٨.

(٥) أخرجه أبو نعيم، حلية الأولياء، ٢٩٥، ٢٩٦، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، ٣٤٧/٩ ونسبه للطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح غير برد بن سنان وهو ثقة، وأورده الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١٨/٣.

وعن أبي وائل الراسبي. قال: أتى ابن عمر بعشرة آلاف، ففرقها، وأصبح يطلب لراحلته علفاً بدرهم نسيئة^(٧).

وإن كانت قصة ابن عمر -رضي الله عنه- الأخيرة أنموذجاً من نماذج الإيثار، فهناك قصة أخرى تدل على تواضعه -رضي الله عنه- حينما قال له رجل: لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم. فغضب ابن عمر وقال: إني لأحسبك عراقياً، وما يدريك ما يغلق عليه ابن أمك بابه^(٨).

وعن ثابت البناني أن أنس بن مالك -رضي الله عنه- مر بصبيان فسلم عليهم، وحدث أنس، أنه كان يمشي مع رسول الله ﷺ فمر بصبيان فسلم عليهم^(٩). ومن حرص شباب صدر الإسلام على تأدية حقوق إخوانهم المسلمين^(١٠). نجد عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- يتعمد الخروج من بيته ليسلم على الناس، كما أورده ابن سعد^(١١) بسنده: أن ابن عمر كان لا يمر على أحد إلا سلم عليه، فمر بزنجي فسلم عليه فلم يرد عليه، فقالوا يا أبا عبد الرحمن، إنه زنجي طمطماني، قال: وما طمطماني؟ قالوا أخرج من السفن الآن، قال: إني أخرج من بيتي ما أخرج إلا لأسلم، أو ليسلم علي.

ومن حسن عشرة ابن عمر -رضي الله عنه- لأصحابه في السفر، يقول مجاهد: كنت أسافر مع عبدالله بن عمر، فلم يكن يطيق شيئاً من العمل إلا عمله ولا يكله إلينا، ولقد رأيته يطأ على ذراع ناقتي حتى أركبها^(١٢).

كما كان -رضي الله عنه- يشترط على من يصحبه في السفر: الفطر والأذان والذبيحة يعني الجزرة يشتريها للقوم^(١٣).

(٦) أخرجه أبونعيم، حلية الأولياء، ٢٩٦/١، وذكره الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١٨/٣.

(٧) أخرجه أبونعيم، حلية الأولياء، ٢٩٦/١، وذكره الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١٨/٣.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٦١/٤، وابن حجر، الإصابة، ٣٤٨/٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٢٠/٣.

(٩) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصبيان، ١٧٠٨/٤.

(١٠) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٧٠٥/٤) «حق المسلم على المسلم ست» قيل ما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه... الحديث».

(١١) في الطبقات (١٥٦/٤).

(١٢) أخرجه ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٦٤/٤.

ويشهد رسول الله ﷺ للشباب جعفر بن أبي طالب بالخلق العظيم بقوله: «اشبهت خلقي وخلقي»^(١٤). ومعلوم أن رسول الله ﷺ على خلق عظيم.

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، هذا طرف من خلق شباب صدر الإسلام ، بر بالوالدين ، وأدب مع أهل العلم ، وكرم وسخاء وإيثار ، ورحمة الضعفاء والمساكين ، وحسن عشرة مع الأصحاب ، فكيف هي أخلاق شباب العصر الحاضر من أبناء المسلمين؟

إنه من العجيب أن تجد بعض شباب المسلمين في هذا الزمان من قل أدبه وساء خلقه ، فهو لا يعرف للوالدين قدراً ، ولا لأهل العمل فضلاً ، أضف إلى ذلك اعتياده للكذب ، وكثرة مزاحه بالباطل ، ناهيك عن إيذاء الآخرين ، والاستهزاء بالضعفاء والمساكين ، ويعظم الجرم عندما يكون الازدراء والاستهزاء بمن لهم حق التقدير والاحترام كأهل العلم والحسبة ، ومن لهم فضل على الشباب خاصة وعلى الناس عامة. وربما أعانهم على ذلك أمثالهم ، باستحسان هذه الأفعال منهم والضحك لهم في تصرفاتهم ، أو تشجيعهم والإعجاب بهم في أفعالهم .

فحري بشبابنا الأكارم أن يتأملوا أحوالهم ، وأن يتفقدوا أخلاقهم ويعلموا أن حسن الخلق يجيبهم إلى الله وإلى الناس ، وأنه سبب في قربهم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة ، وسبب في تثقيل موازين حسناتهم يوم يلقون ربهم .

أيها المستمعون الكرام . وفي الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١٣) المرجع السابق ص ١٤٨.

(١٤) ذكره البخاري تعليقاً، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب جعفر بن أبي طالب - عليه السلام -.